

من الاستقلال إلي الانفصال السودان وفشل الاندماج الاجتماعي

الدكتور عثمان سراج الدين فتح الرحمن
جامعة عجمان- الإمارات العربية المتحدة

المقدمة:

قضية الاندماج الاجتماعي في دولة كالسودان من الموضوعات التي اخذت كثيراً من الجدل والنقاش منذ استقلال السودان وحتى انفصال دولة الجنوب في نوفمبر 2011 ، وقد أخذ هذا الجدل منحنيات عديدة ومتشعبة علي المستويين الفكري والسياسي وتحت مسميات بعدت كثيراً عن مفهوم الإدماج الاجتماعي لتأخذ مفاهيم التنوع الثقافي والتعدد الثقافي وتحت هذه المسميات ظهرت كثيراً من المدارس الفكرية التي أرادت أن تشخص مسألة التنوع الثقافي مثل مدرسة الغاية والصحراء ومدرسة السودان العروبي الاسلامي ، ومدرسة التنوع الثقافي ، وفي مراحل متأخرة بدأت تظهر أفكار تتجاوز ذلك لتدخل في صلب قضايا التحول الديمقراطي دون مسميات بعينها ، لتأتي أخيراً فكرة السودان الجديد التي روج لها الراحل جون قرنق.(1)

وجميع هذه التيارات الفكرية كانت تؤكد علي مبدأ أن السودان بلد متنوع الثقافات هذا التنوع يقوم علي التنوع الاثني والقبلي، والبحث عن صيغة فكرية سياسية للاستفادة من هذا التنوع في بناء الدولة الوطنية.

والذي يبدو من كل هذا الزخم الفكري والسياسي هو الفشل الصريح في بناء الدولة الوطنية السودانية القائمة علي احترام التنوع والتعدد الثقافي بل الفشل في الحفاظ علي الدولة السودانية بتركيباتها القديمة القائمة علي الصراع الجهوي والاثني وتفتت الدولة السودانية الي دولتين بعد انفصال السودان الجنوبي المنادي بالسودان الجديد.

أما علي المستوي السياسي فقد ابتعدت الحكومات الوطنية ما بعد الاستقلال عن الوحدة الوطنية المبنية علي التنوع (2)، والتعدد الثقافي تحت الاصرار علي السيطرة المركزية للدولة دون وضع اعتبار لخصوصية الجماعات الاثنية في أقاليم السودان المختلفة ، والنظرة الي كل الحركات الاقليمية علي أنها حركات متمردة يجب حسمها عسكرياً، لذلك ظل الجنوب هو ترمومتر السياسة في الشمال واعطاء مزيداً للقوة السياسية للجيش والعسكر ، فمنذ استقلال السودان لم يحكم السودان

ديمقراطيا ومدنيا الا عشر سنوات من عمر استقلال السودان البالغ ست وخمسون عاما.

ولا تُعفي الاحزاب السياسية الكبيرة في السودان من تعميق الهوة الاثنية في السودان " برغم ما تحويها برامجها من احترام للتنوع والتعدد الثقافي " الا أنها فشلت في محك السلطة في إدارة هذا التنوع بالصورة التي تؤدي إلي الاندماج الاجتماعي.

الحركات الاقليمية الجهوية نفسها لم تكن قادرة على إدارة هذا التنوع الثقافي وظلت في حالة حرب مستمرة مع الدولة المركزية السودانية منذ استقلال السودان وأكبر دليل على ذلك سعي الحركة الشعبية لتحرير السودان إلى الانفصال وحقت ما أرادت لأنها اخترلت السودان في تيار سياسي حاكم.

وتعتبر سنوات الحكم الاسلامي في السودان هي أكثر سنوات القطيعة الثقافية ما بين الثقافة العربية الاسلامية والثقافة الافريقية مما عمقت فشل الاندماج الاجتماعي، ويظهر ذلك في اشتداد الحرب في جنوب السودان واشتعال أزمة دارفور عسكريا في العام 2003.

فمعظم السياسات التي اتبعها الإسلاميين في السودان زادت من عملية التهميش الاجتماعي وزادت من النعرات الاقليمية الاثنية وتفجرت بصورة أكبر مع ظهور الكتاب الاسود (3)، الذي ظهر معه ما يسمى بتحالف المهمشين في السودان وهو تحالف عسكري يقوم المنفستو الاساسي فيه علي رد المظالم الاجتماعية بالقوة العسكرية.

من جانب آخر فإن للاستعمار البريطاني دور أصيل في تفتيت الوحدة السودانية فقد عملت الإدارة البريطانية إلى تقسيم السودان جهويا واثنيا أكثر منه جغرافيا، فقد تميزت السياسة الاستعمارية في أواخر العشرينات والثلاثينات القرن العشرين بتقسيم الشمال والجنوب وإعادة تأسيس النظام القبلي في الشمال والجنوب معا، وقد جري في هذه الفترة إعداد الأساس الاجتماعي الطائفي من خلال تعضيد السلطة الدينية والقبلية و هذا الوضع جعل المجتمع كله خاضعا لأسس عنصرية وقبلية .

اذن كانت كل المتغيرات والتحولات الفكرية والسياسية عبر مراحلها المختلفة في السودان غير قادرة علي فهم هذه الهوة الثقافية الأمر الذي قاد إلي مسألة الفشل في الاندماج الاجتماعي.

موضوع الدراسة:

المشكلة الرئيسية للدراسة تتحدد في البحث عن الاسباب التي أدت إلي فشل الاندماج الاجتماعي في دولة السودان، من خلال دور الاثنية والقبلية ، معتمدين في ذلك

علي تاريخ المراحل التي مرت بها هذه الاثنيات ، وبالتركيز علي الاثنيات العربية والاثنيات غير العربية.

هدف الدراسة:

الهدف الرئيسى للدراسة مناقشة قضية الاندماج الاجتماعي في السودان في أبعاده الاجتماعية والسياسية والطبقية . وهناك أهداف أخرى تتمثل في:

1. وضع رؤية مستقبلية تساعد في مستقبل الاندماج والوحدة في السودان.

2. البحث في دور الاثنية في إضعاف الاندماج الاجتماعي.

■ أهمية الدراسة:

أهمية الدراسة تأتي من أنها تناقش أكثر القضايا الحساسة في السودان والتي أعاقت كثيراً تطور النمو في السودان، لأن تاريخ السودان ما بعد الاستقلال لم يخلو من الصراعات القائمة علي المرجعية العرقية والاثنية ، ومناقشة مثل هذه القضايا تكتسب أهمية خاصة في السودان بتكوينه الجديد ما بعد انفصال جنوبه وحتى نستطيع ان نتعامل مع الجزء المتبقي من الاثنيات بطريقة تخلق دولة المواطن والعدالة الاجتماعية.

فرضية الدراسة:

الفرضية الرئيسية التي تقوم عليها الدراسة هو أن النخبة السياسية والثقافية هي المسؤول الأول عن فشل الاندماج الاجتماعي. (4)

ويتفرع عن هذه الفرضية فرضيتين:

الاولي: أن بناء الدولة السودانية منذ الاستقلال قام علي الهيمنة العروبية الاسلامية.

الثانية: أن هنالك فشلاً في إحتواء قضايا التهميش السياسي والقبلي والجغرافي.

الدراسات السابقة:

اولاً: (بشير 1989) وهي دراسة صدرت في كتاب بعنوان: الوحدة والتنوع الثقافي السودان، هذه الدراسة اهتمت بقضية التنوع الثقافي ودوره في خلق الوحدة الثقافية ، وهو تعبير عن حالة تطور لمشكلة الهوية السودانية.

ثانياً: (دينق، 1999)، وصدرت دراسة في كتاب بعنوان: دينامية الهوية أساس التكامل الوطني في السودان، وهو كتاب صدر باللغة الانجليزية وتمت ترجمته الي العربية، أهم ما يميز هذا الكتاب هو أن مؤلفه يمثل اثنية غير عربية لكنه تناول قضية التكامل والوحدة في السودان وبالذات بين جنوب وشمال السودان من منظور وحدوي وناقش فيه اهم معضلات التكامل في السودان، ونفذ الي ذلك بمعالجة مشكلات الهوية في الدولة السودانية الموحدة وخلص الي أن المشكل السوداني في ابعاده الاجتماعية يمكن معالجته من الجانب النفسي والاجتماعي لمفهوم الهوية.

ثالثا: (كوريتا 2004) وهذه الدراسة تعتبر من الدراسات الهامة في قضية الاندماج الاجتماعي في السودان الحديث، علي اعتبار أنها دراسة لباحثة يابانية كانت أكثر جرأة في تناول مشكلات الاثنيات المضهده في وسط السودان من خلال دراستها الميدانية لجماعات الرقيق التي نالت حريتها في شمال السودان، متخذة من ثورة اللواء الأبيض التي قادها احد هذه الجماعات ضد المستعمر الانجليزي في العام 1924 نموذجا لدراستها. وصدرت الدراسة بعد ترجمتها عن مركز الدراسات السودانية بالقاهرة تحت عنوان: علي عبداللطيف وثورة 1924.

رابعا: (ابراهيم، 2004) دراسته هذه هي متابعة لسلسلة مناقشة قضية الهوية والثقافة في السودان من منظور عالم الاجتماع، هذا الكتاب تناول دور الاسلاميين في تعميق الهوية بين الاثنيات والثقافات في السودان من خلال عرضه للحالة السياسية والاجتماعية للمشروع الحضاري للدولة الاسلامية في السودان. وقد صدرت الدراسة عن مركز الدراسات السودانية بالخرطوم بعنوان: سقوط المشروع الحضاري.

خامسا: (نبوك 2007) هذه الدراسة اهتمت بواقع النخب السياسية والاقتصادية التي تكونت تحت رعاية الاستعمار الانجليزي في السودان، وهيمتها المستقبلية علي الحياة السياسية والاقتصادية، مناقشا كيفية تكوينها ودورها في مسألة الاندماج الاجتماعي (وإن كان لم يتعامل مع هذا المصطلح) إلا أنه يفهم من صياغة ذلك. تم الاعتماد علي الطبعة الثالثة للكتاب الصادرة عن دار عزه للنشر بعنوان : تقسيم الثروة والسلطة في السودان.

سادسا: (ممداني، 2009) وهي دراسة صادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية تحت عنوان: دارفور منقذون وناجون: السياسة والحرب علي الإرهاب، هذه الدراسة تم الاستفادة منها من ما قدمته من معلومات موثقة عن واقع الصراع الاثني في دارفور وخاصة في عرضها للواقع الاجتماعي الذي افرزه الاستعمار في التكوين الاثني والقبلي في السودان.

الشئ الذي يجب ان نلاحظه في جميع الدراسات السابقة التي استندت عليها الدراسة أنها لم تتناول مشكلة الاندماج الاجتماعي كمفهوم صراحة وانما تعاملت مع قضية الاندماج الاجتماعي من خلال مناقشة مسائل التنوع الثقافي والهوية في السودان.

منهجية الدراسة:

المنهج الذي تعتمد عليها دراسته هو المنهج التاريخي الوثائقي، لأنه يساعد في قراءة المراحل التاريخية المختلفة لتطور بناء الدولة السودانية، كما يساعد في إحداث حالات المقارنة للبحث في الخلل الايديولوجي لخلق حالة الاندماج الاجتماعي في السودان علي المستوي القطري والقومي والاقليمي (الافريقي

والعربي) والمنهج المستخدم لا نعني به هنا مجرد تعدد المراحل التاريخية بقدر ما نعني به الاستقصاء والتحليل لهذه المراحل.

الإطار المفاهيمي للدراسة:

مجموع المفاهيم التي استخدمتها الدراسة تعمل علي ربط الدراسة في أطرها النظرية بحالة التكوين الاثني والقبلي وصراعات الهوية ودورها في تحقيق الاندماج الاجتماعي أو فشله:
الهوية:

الدراسة هنا تعني بتحديد الهوية وفق معناها الايديولوجي باعتبار إنه يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال الدين أو اللغة أو الدولة الوطنية أو القومية، وكل هذه خصائص متغيره حسب طريقة استخدامها وتوظيفها، وبالتالي فإن الايديولوجيات من الممكن أن تؤثر علي تحديد الهوية.(5)

الاثنية:

مصطلح يشير إلى خصائص ومواقف أولئك الذين يعتبرون أنفسهم من قبل الآخرين بأنهم يشكلون جماعة اثنية مختلفة، انطلاقاً مما يرد في هذه الدراسة هناك اتفاق عام على أن الاثنية شكل من أشكال الوعي بالذات حول المظاهر الثقافية وذات ديناميكية ولكنها محاصرة بالبعد الأيديولوجي، فقد تم تعريفها على أنها وحدة أو جماعة من السكان يربط بين أفرادها أنهم منحدرون من أصل واحد ويقطنون في موقع جغرافي ويشتركون في اللغة والدين.(6)

الاندماج الاجتماعي:

هو عملية التنسيق بين مختلف الطبقات والجماعات المختلفة السلالة وغيرها من أنماط المجتمع في وحدة متكاملة أو ضم مختلف عناصر الحياة الاجتماعية في مجتمع ما لتشكيل علاقة واحدة متناسقة أو إزالة الحواجز القائمة بين المجموعات المختلفة .

التعددية الثقافية:

مفهوم يعني الاعتراف بحق الجميع في التمتع بتراثهم الثقافي والحق في المساواة والمعاملة والفرص لكل فرد بصرف النظر عن خلفيتهم الثقافية والدينية واللغوية والعرقية. والمفهوم بهذا المعني يجعل الثقافة مجالاً للممارسة الفردية الخاصة و المواطنه مجالاً للممارسة العامة من خلال المساواة في جميع الحقوق والواجبات.(7)

بواكير فشل الاندماج الاجتماعي:

لفهم عملية فشل الاندماج الاجتماعي في السودان يتطلب ذلك تقديم رؤية حول التكوين الايديولوجي والاجتماعي الذي صنعة الحكم الثنائي الانجليزي

المصري من الفترة 1896- 1956 ، فصياعة تركيب القوي الاجتماعية اللاحقة للمجتمع السوداني هي تركيبة استمرت مع تاريخ الدولة الحديثة ما بعد الاستقلال. فمن المهم التركيز علي فترة ما قبل الاستقلال لأنها تمثل ضرورة ومذخلا لفهم ديناميات التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي شكلت واقع عملية التمازج والاندماج الاجتماعي.

فنتائج التكوين الاجتماعي للاستعمار يمكن ان نوجزها في:

1. علي المستوي الاجتماعي صناعة طبقة من الصفوة .
 2. ايضا علي المستوي الاجتماعي بني الاستعمار قاعدته علي اساس العصبية القبلية في السودان
 3. علي المستوي الاقتصادي خلق نخبة استفادة من اقتصاديات الحكم الثنائي واعادة استثماره.
 4. ايضا علي المستوي الاقتصادي التنموي ظهر التهميش الاقتصادي والتنموي بتركيز التنمية علي مناطق بعينها دون الاخرى في داخل القطر.
 5. علي المستوي السياسي استفادة الصفوات الاجتماعية والاقتصادية من نفوذها في تحديد مستقبل الدولة السودانية سياسيا.
- فالطريقة التي أدت إلي صياغة تركيب القوي الاجتماعية خلال الحكم الاستعماري للسودان قادت إلي مظهران لعدم المساواة والاختلالات الملازمة لتركيب الاقتصاد السوداني كان لهما دورهما في فهم بذور القوي الاجتماعية في السودان ، اولهما : الانقسام الحاد بين الأفراد الذين كانوا في وضع يمكنهم من الاستفادة من اقتصاديات الحكم الثنائي ثم إعادة الاستثمار في مجالات إنتاجية أدت بدورها إلي تدعيم موقعهم الاقتصادي مقارنة بمجموعة السكان، ثانيهما : يتمثل في الإنقسام بين مناطق القطر التي شهدت بعض مظاهر التقدم الاقتصادي و الاجتماعي وبين المناطق الأخرى التي لم تجد اي اهتمام يذكر من التنمية حيث تركزت في مناطق النيل شمال الخرطوم ومناطق النيل الأزرق والابيض جنوب الخرطوم ووسط كردفان .(8)

هذه العناصر المشار إليها مقارنة بمجموع السكان هي التي كونت الصفوة الاقتصادية لاحقا في تاريخ السودان ما بعد الاستقلال ، وهذه العناصر لم تستند علي موقعها الاقتصادي فقط بل علي نفوذها الاجتماعي القائم اصلا.

والناظر لهذه القوي المستفيدة اقتصاديا يجدها تتركز في القيادات الدينية والقيادات القبلية وطبقة كبار موظفي الخدمة المدنية والمهنيين والذين معظمهم من أبناء شمال ووسط السودان. وسنلاحظ لاحقا أن هذه العناصر لعبت دورا كبيرا في التكوين الطبقي الاجتماعي الذي باعد بين فئات السكان الآخرين من الاثنيات

الآخري دون شمال السودان ووسطة مما عمق الفجوة الاجتماعية بين أبناء الوطن الواحد وقاد إلي التهميش الاجتماعي.

فالتاريخ الاجتماعي والسياسي ما بعد الاستقلال حتي العام 1969 قام علي مجموعة الصفوات المستفيدة من الحكم الاستعماري التي احتفظت بالسلطة عن طريق التحالفات التقليدية القائمة علي العصبية القبلية والولاء الطائفي والنفوذ الاقتصادي لا عن طريق البرامج الاجتماعية والاقتصادية أو السياسية.(9) مما أدي إلي استمرار عدم التوازن والمساواة، الأمر الذي عمق مستقبلا الحركات الانفصالية والاثنية المسلحة القائمة علي غياب العدالة في التنمية الاجتماعية والإقليمية.

جانب آخر في غاية الأهمية لعبة المستعمر في السودان علي المستوي الاجتماعي كرس للقبلية والاثنية وأثر مستقبلا علي عملية الاندماج الاجتماعي بُني علي فرضية السيطرة علي الحكم في السودان بتقسيمه إلي عرقيات لإدارته. ففي كتابه تاريخ العرب في السودان ركز يوسف فضل علي أن الهجرة هي التجربة الأساسية في تاريخ السودان العربي ، وبذلك يؤكد علي الموقف الإداري الاستعماري الرسمي بأن تاريخ السودان قبل الاستعمار ينطوي علي تفاعل بين أعراق المستوطنين والسكان المحليين من غير العرب، هذا الموقف لاحقاً لعب دوراً كبيراً في عملية الاندماج الاجتماعي في التركيبة السودانية العرقية والاثنية وفق سياسات إدارية استعمارية كرسست للفرقة والانفصال. (10)

لذلك ارتبط الحكم الاستعماري في السودان بتشكيل الهوية أكثر من أي أمر آخر وفق المقولة " أعد تحديد الهوية تسد" حيث صنف الإداريون الاستعماريون السكان إلي فئتين هما :العرق " مجموعات ثقافية قائمة علي اللغة والقبيلة " و"مجموعات اثنية" ، خطورة هذا التقسيم وفق العرق هو أن العرب والزنج عرقان مختلفان حتي إذا كانا يتحدثان اللغة نفسها فالعرق خلفاً للقبيلة أخذ معنا سياسياً أكثر من معناه الثقافي.(11)ترتب علي ذلك تشكيل ملمح الخارطة الاثنية والقبلية في السودان ما بعد الاستقلال ، فالعرق أصبح محدد أساسي في الحصول علي الملكيات الخاصة والمشاركة في الحكم وتكوين الصفوة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المسيطرة.

الاثنيات وفشل الاندماج:

الاثنية الجنوبية:

السودان قبل الانفصال كان يضم حوالي 518 مجموعة قبلية تتحدث بأكثر

من 119 لغة إضافة إلي تباين المناخ (12). فكان من الطبيعي ان يصحب ذلك تبايناً في المجموعات العرقية والثقافية المكونة للسودان.

وظلت الحالة الاثنية تعبر عن نفسها في المجموعة العربية الاسلامية مقابل مختلف الجماعات الزنجية ، فالاولي مجموعة مهيمنة ومسيطره سياسيا واقتصاديا واجتماعيا و الأخرى تمثل مجموعة المهمشين.

وتمثل مشكلة جنوب السودان حتي الانفصال وجبال النوبة في جنوب كردفان ابرز معضلات الاثنية المدمرة للاندماج الاجتماعي، لتظهر بشكل مخيف في العام 2003 مع تصدر الصراع المسلح في دارفور لمشهد الاثنية القبلية.(13)

و علي الرغم من محاولة ادارة ازمة الاثنية القبلية في السودان بشكل مباشر وغير مباشر من قبل الحكومات الوطنية المتعاقبة بعد الاستقلال عبر الترويج للوحدة في اطار التنوع الثقافي الا أن هذه المحاولات فشلت في تعميق التمازج الاجتماعي (14).

وفي تاريخ لاحق اصبح التعامل مع مشكلة الاثنية من خلال مفهوم التعدد الثقافي، لكن المعضلة الكبرى في تاريخ مشكلة الاثنية أن المشكلات التي تفرزها التعددية والتنوع الثقافي يُعبر عنها في صياغ سياسي يعزلها كلياً عن ما هو اجتماعي، فحصر القضية في التهميش الاقتصادي والتنموي (برغم أن معظم الحركات الاثنية العسكرية المناهضة للحكومة المركزية اتخذت من التهميش التنموي مدخلا للصراع) دون الوعي ببعدها الاجتماعي(15)، خاصة في مسألتي الجنوب ودارفور عمق من مسألة التباعد الاجتماعي والامثلة علي ذلك اتفاقية اديس ابابا 1971، واتفاقية مشاكوس 2005 بالنسبة لحل مشكل جنوب السودان، واتفاقية ابوجا 1 وابوجا 2 واتفاقية الدوحة في 2011 بالنسبة لدارفور.

ففي كتابة أفارقة بين عالمين المستند علي الماده الشفاهية التي تم جمعها من زعماء ووجهاء قبيلة الدينكا في جنوب السودان يوضح فرانسيس دينق هذه المعضلة في تلك الهوية العميقة في الاندماج الاجتماعي بين شمال وجنوب السودان بما تمثله من ثقافات متنوعة.(16) فمن خلال الشعارات السياسية والاجتماعية التي راجت بعد اتفاقية اديس ابابا مثل الوحدة في التنوع فقد لاحظ انها لا تحقق الوحدة المطلوبة بل الوحدة المحققة زعماء، فمن الممكن احداث السلام بين الشمال والجنوب لكن من الصعب جدا جدا احداث الاندماج الاجتماعي.

ومن الروايات الشفاهية التي ذكرها فرانسيس والتي تدل علي ذلك ما صدر عن أحد زعماء قبيلة الدينكا يدعي ماكوي الذي يقول " الله حرم عليّ التحدث باللغة العربية لأن العربية تحول الشخص إلى سئ".(17)

هذه العبارة هي تعبير عن تلك الهوية الكبيرة بين الثقافة العربية الاسلامية والثقافات الأخرى الزنجية غير المسلمة وتعمق من فشل الاندماج الاجتماعي وتوضح الاختلاف الجوهري بين الشخصية العربية والشخصية الزنجية، فالجنوبي

قبل الانفصال يؤكد علي الاستعلاء الثقافي والديني للعربي الشمالي كما أنها أيضا توضح ازدياد الثقافة الشمالية لدي الجنوبي.

في نفس السياق هنالك حادثه شهيرة تمت في سبعينيات القرن السابق يذكرها حيدر ابراهيم في كتابة أزمة الاقليات في الوطن العربي وهي أن محكمة مدينة بحري الشرعية قامت بتطبيق مواطنة شمالية ذات أصول عربية من مواطن آخر من اصول زنجية لعدم الأهلية مستندة في ذلك علي اختلاف الاصول العرقية.(18)

لا تتوقف مسألة الاستعلاء الاثني والقبلي فقط علي الثقافات المختلفة لغويا ودينيا وعرقيا وانما حتي بين الثقافات ذات الاصول العرقية المشتركة فمثلا الدينكا في جنوب السودان سابقا يرفضون زواج بناتهم من القبائل الأخرى التي تشاركهم العرق والجغرافيا.(19)

في المقابل ظل المثقف السوداني غير السياسي يؤكد علي امكانية الوحدة والاندماج بين الثقافات المتنوعة السودانية كما تظهر في مدرسة الغابة والصحراء ومدرسة السودانية التي تري القدرة علي إدارة التنوع لمصلحة الوحدة والاندماج والتكامل الاجتماعي معتمدين علي أن تجربة الشمال وبعض مناطق الجنوب تكشف لنا أن الانتماء أو الهوية يمكن إعادة صياغتها اذا ما توفرت الشروط المناسبة لذلك.(20)

عموما اظهرت مسألة الاثنية وخاصة في مشكل جنوب السودان التركيز علي الهوية العرقية الثقافية حيث يعتبر الشمال عربيا ومسلما والجنوب زنجيا وثنيا بقيادة مسيحية.(21)

الاثنية القومية النوبية:

ما سبق كان يتعلق بالاثنية الجنوبية في قبائلها المختلفة، ولكن هنالك شكل آخر للاثنية الثقافية في السودان يظهر في جنوب كردفان في منطقة جبال النوبة يُصعب من عملية الاندماج الاجتماعي، هذه الاثنية ككيان ظهرت بواورها واستمراريتها في غياب عدالة التنمية واستمرار التهميش المتهم به الثقافة العربية الاسلامية في شمال السودان ، وبرغم أن غالبية النوبة من المسلمين الا أنهم يختلفون في اللغة والعرق عن العربي الشمالي.

واستطاع ما يسمى باتحاد جبال النوبة كتتنظيم سياسي مع بواكير الحركة السياسية ما بعد الاستقلال أن يصبح ممثلا لهذه الاثنية سياسيا واجتماعيا ، وذلك بتعبيرة عن المصالح المتنوعة لآبناء جبال النوبة ، واطر ما في هذا الكيان علي المستوي الاجتماعي والثقافي أنه اضفي الاحساس بالانتماء الي الاثنية القبلية لآبناء جبال النوبة.(22)

وفي مرحلة لاحقة وبالذات في العام 1983 ومع نشوء الحركة الشعبية لتحرير السودان وجدت الاثنية النوبية توافقها الايديولوجي والثقافي والاثني مع هذا التيار واصبحت فصيل رئيسي للحركة علي المستوي الاجتماعي والسياسي والتي اصبحت تعرف فيما بعد انفصال الجنوب الحركة الشعبية لتحرير السودان كيان الشمال والتي لازالت حتي اليوم في صراعها الاثني مع الثقافة العربية والحكومة المركزية .

اثنية المنبيتين عرقيا:

هذه المجموعة الاثنية هي مكون تاريخي لتجارة الرقيق منذ القرن الثامن والتاسع عشر وهي سلالة الارقاء التي عاشت في شمال السودان العربي الاسلامي وبرغم اشتراكها مع المكون الثقافي العربي في اللغة والدين الا انها تختلف عن هذا المكون في العرق. وهذه الاثنية تكونت بصورة منفصلة علي المستوي الاجتماعي والطبقي بعد صدور قانون الرق في عهد الاستعمار والذي بموجبه تم تحريرهم من العبودية وعاشوا في المناطق الحضرية في شمال السودان وبالذات في مدينة ام درمان والخرطوم وعطبرة. واصبحوا فيما بعد مكون اساسي للحياة الاجتماعية في شمال السودان و اغلب هذه الفئة عملت في المهن الوسيطة كالحداثة والمكانيك والنجارة والخياطة والشرطة والجيش وحديثا الاحتراف في عالم كرة القدم. وسميت بالمنبته عرقيا لان معظمهم فقدوا تاريخيا اصولهم القبلية ، إلا أنهم جميعا يربطهم الأصل الزنجي ومصطلح المنبيتين عرقيا اطلقته الباحثة اليابانية "يوشيكو كوريتا" في كتابها المترجم الي العربية "علي عبد اللطيف وثورة اللواء الابيض".

(23)

وفي نظري أن هذه المجموعة تعبر عن أبلغ حالات فشل الاندماج الاجتماعي في ثقافة الوسط السوداني لاعتبارات عديده:

1. ان مصطلح العبد للرجل والخادم للانثي لازال مستمرا من قبل المجموعات العربية تجاه هذه الاثنية.
2. تابو الزواج بينهم وبين المجموعات العربية ظل عانقا في مسألة الاندماج الاجتماعي. فالمجموعات ذات الأصول العربية ترفض تزويج أبنائهم وبناتهم من المنبيتين عرقيا للحفاظ علي نقاء الاصل العربي.
3. علي المستوي المهني ظلت هذه المجموعة تمارس المهن الحرفية ولا يظهر وجودهم في المهن الحكومية علي المستوي العالي سواء في الخدمة المدنية أو الخدمة العسكرية.
4. علي مستوي السكن في الاحياء بالمدن يلاحظ حتي وقت قريب أن هنالك احياء يسكنها المنبيتين عرقيا ولا وجود لمجموعات عربية بالرغم من أن هذه الاحياء تمثل وسط المدينة كما هو في ام درمان والخرطوم.

اثنية دارفور " كتلة السود ":

وهذه تمثل مزيج غريب للاثنية في السودان إذ أنها تمثل صراع داخل الاقليم الواحد القائم علي العرق ما بين السود ذات الاصول الافريقية والمجموعات العربية وكلاهما ذات انتماء اسلامي واحد علي اعتبار ان الاثنية العربية تمارس التهميش مقابل جماعات السود، هذا الوضع افرز مجموعة صراعات قبلية داخلية مستمرة ما لبثت ان خرجت من داخل الاقليم إلي الصراع مع الحكومة المركزية مما عمق من مشكلة الاندماج الاجتماعي.

وازدادت حدة الصراعات بين العرب والفور في دارفور خاصة في الفتره ما بين 1987-1989 والعرب والمساليت في الفترة ما بين 1996-1999 بعد قيام السلطة الاقليمية في عام 1981 ومرد ذلك أن القبائل العربية كانت ترى في قيام السلطة الاقليمية مهددا لوجودهم.

واشتد الصراع بين الاثنيات القبلية في دارفور في اعقاب سيطرة الاسلاميين علي السلطة وخاصة بعد الانقسام بين أطراف الحكم الاسلامي في السودان بعد العام 1999 وازداد الامر خطورة في انحياز الدولة المركزية لصالح المجموعات العربية في الصراع القبلي الدائر في الاقليم علي حساب الكتلة السوداء وخاصة الفور والمساليت مما استدعي قيام هذه الاثنيات لانشاء مليشيات مسلحة. وفي المقابل قامت الحكومة بتسليح المجموعات العربية لمواجهة ما اسمنه تمرد الجماعات المسلحة هذا الوضع افرز أخطر ظاهره اجتماعية سياسية عسكرية بدارفور وهي مجموعة الجنجويد وخطورتها في انها فاقمت من تهتك النسيج الاجتماعي واجبت الصراع الاثني لاقصي درجاته وباعدت بين أي تصور ممكن للمصالحة الاجتماعية مستقبلا وبالتالي مزيدا من فشل الاندماج الاجتماعي.(24)

وبعد المفاصلة التي تمت بين الاسلاميين ظهر الكتاب الاسود الذي قام بكتابته مجموعة من كتلة السود الدارفوريين الاسلاميين المنشقين، اهمية هذا الكتاب أنه كان مقدمة لمشكلة دارفور بصورة عميقة في العام 2003 هذا من ناحية ومن ناحية اخري الكتاب يمثل الشرخ الكبير في التكوين الاثني في السودان وتعميقا لصراع الهوية بين الثقافة العربية والثقافة الزنجية وتعميقا للتباعد الاجتماعي علي مستوي الوطن الواحد، وايضا هذا الكتاب اوضح التهميش الاجتماعي الذي تعاني منه المجموعات غير العربية في دارفور من خلال المعلومات التي احتواها.(25)

وقد شمل الصراع القائم علي العنصر والعرق جميع القبائل في دارفور مما ادي الي الانزلاق في هاوية العنف الاثني فقد شهدت الفتره ما بين 1980-1998

مجموعة من هذه الصراعات التي يمكن نوضح نماذج منها للتدليل علي التهتك الاجتماعي والتباعد الاجتماعي:(26)

1. الصراع بين قبيلتي التعايشة والسلامات.
2. الصراع بين بني هلبه والرزيقات.
3. الصراع بين قبيلتي الكبابيش والبرتي والزيادة
4. الصراع بين قبيلتي الرزيقات والمسيرية
5. الصراع بين قبيلتي القمر والفلاته.
6. الصراع بين العرب والفور.
7. الصراع بين قبيلتي الزغاوة والقمر.
8. الصراع بين قبيلتي الفور والبديات.
9. الصراع بين التعايشة والقمر.
10. الصراع بين الزغاوة والمراريت
11. الصراع بين العرب والمساليب.

ما يجب ملاحظته في هذه الصراعات أنها بعضها يتم في داخل الاثنيات المشتركة.

وقد ظهرت بواكير اثنية كتلة السود في دارفور معارضة للتعريب حتي جاءت نشأة جبهة نهضة دارفور التي تكون منها تنظيمين سريين مناهضان للوجود العربي الممثل في "الجلابة" (27)، أبرز هذين التنظيمين هي سوني وخطورتها تأتي في

أنها اصبحت حركة عسكرية مناهضة للوجود العربي في دارفور.(28)
السؤال الذي قد يطرح نفسه لماذا التركيز علي الاثنية في مسألة الاندماج الاجتماعي؟ والاجابة علي السؤال يكون في النقاط الآتية:

1. هي مدخلا لادارة الصراع الاثني في السودان.
2. النزاعات الاثنية تسببت في صراع الهوية مما انتجت عنها بذور التعصب بوعي او بلا وعي.(29)
3. وجود القوميات الاثنية في حد ذاته هو فشل للاندماج الاجتماعي علي المستوي القومي والوطني.
4. استمرار حالات التهميش الاجتماعي وغياب دولة المواطنة.
5. أن العرق في حالة السودان ليس ثقافة وإنما ايديولوجيا.(30)

النتائج:

النتائج التي يمكن الاشارة اليها مما سبق تكون في الآتي:

أولاً: اوضحت الدراسة أن حالة الفشل في تحقيق الاندماج الاجتماعي في السودان جوبهة بعديد الصعوبات التي حالت دون الوصول الي الحالة الاجتماعية المستقرة بين الاثنيات العرقية المكونة للسودان.

ثانياً: ان جميع مشكلات الاندماج الاجتماعي بدأت من حالات الغبن الاجتماعي والتهميش الاقتصادي والتنموي.

ثالثاً: لعب الحكم الثنائي الانجليزي المصري دورا كبيرا في التقسيم الاجتماعي في السودان القائم علي الأساس العرقي والقبلي .

رابعاً: ان حالة السلام التي أوقفت الحروب بين الشمال والجنوب لم تستطع أن تخلق حالة الوحدة والاندماج وأبلغ دليل علي ذلك انفصال دولة جنوب السودان .

خامساً: النخب السياسية التي اعقبت الاستقلال أبقت علي مكتسباتها الطبقية وسيطرتها السياسية مما فاقمت من مشكلة الاندماج والتكامل الوطني.

سادساً: رغم المناقشات المتعددة في اوساط المثقف والاكاديمي السوداني في مسألة الوحدة والتكامل عبر مفاهيم التعدد والتنوع الثقافي إلا أنهم وقعوا في نفس فخ السياسي من خلال التعامل مع الاثنية كأيدولوجيا دون الاخذ بالعوامل النفسية والاجتماعية والثقافية للاثنية الأمر الذي عمق عدم الوعي بالوحدة القومية و الوطنية.

سابعاً: فاقمت الاثنية القبلية والتباين الثقافي في التهميش الاجتماعي وغياب دولة المواطنة والديمقراطية.

ثامناً: لعب المشروع العروبي الاسلامي لحكومة الاسلاميين في تعميق وتأجيج العرقية بين الاثنيات المختلفة وخاصة في جنوب السودان قبل الانفصال ودارفور وجبال النوبة مما أدى إلي غياب الاندماج الاجتماعي.(31)

تاسعاً: ان السودان يعاني كثيرا من تفتيت الهوية بالرغم من أنها وحدة اجتماعية نفسية متكاملة لا تقبل التجزئة.(32)

عاشراً: بالرغم من الحالة الظلامية التي تلف بالاندماج والوحدة الاجتماعيه الا ان ذلك لاينفي ان السودان قد مر في بعض مراحل التاريخيه بحالة الاندماج الاجتماعي وتمثل الدولة المهدية في القرن التاسع عشر هذه الحالة من الاندماج الاجتماعي فقد كانت المرة الاولى التي تجتمع فيها اثنيات مختلفة من حيث الانتماء العرقي لتشكيل حركة سياسية اجتماعية موحدة مما دعي بعض المؤرخين والمثقفين الذهاب الي أن الدولة المهدية عابرة للاثنيات. وهنالك من فطن الي التفرقة بين الاثنية كمشروع ثقافي والاثنية كمشروع سياسي مثال جون قرنق الزعيم التاريخي للحركة الشعبية لتحرير السودان الذي لم يكتب له اكمال مشروعة الاندماج الثقافي وفي ذلك يقول: "إننا نتاج تطور ثقافي يجب ان تكون العربية اللغة القومية في السودان الجديد ولا يمكن القول ان العربية هي لغة العرب . لا إنها لغة السودان....."(33)

خلاصة :

ناقشت الدراسة مجموعة قضايا ترتبط بنتيجة فشل الاندماج الاجتماعي في السودان والذي تبدو صورته الواضحة في انفصال دولة جنوب السودان في العام 2011. وهذه القضايا في مجملها لا تخرج عن الثقافي الاجتماعي السياسي والتي اودت بالازمات المتعاقبة في تاريخ الدولة السودانية والتي أفرزت واقعا للتمييز السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي كان منفذا لاوضاع أكثر تعقيدا وخاصة في الثلاث عقود الاخيرة، اخذ في البداية المناداة بالتنمية المتوازنة بين أقاليم السودان لينتقل الي المناداة بواقع سياسي يقوم علي توزيع السلطة والاعتراف الثقافي، متخذا في سبيل ذلك الكفاح والحرب المسلحة، وتمت مناقشة هذه الافكار في سياق فشل الاندماج الاجتماعي في السودان متمثلة في:

1. فشل إدارة التعدد الثقافي ليس علي مستوي جنوب السودان سابقا وانما علي كافة التوزيعات القبلية والاثنية في السودان والتي افرزت التعدد الثقافي واللغوي والديني.
2. عوائق الاندماج الاجتماعي الممثلة في التمييز الاجتماعي والسياسي والاقتصادي فيما يعبر عنه بالتوزيع العادل للسلطة والثروة وايضا في قضايا الصراعات الاثنية والجهوية المسلحة كما تظهر في الجنوب سابقا، وازمة دارفور و جبال النوبة و النيل الأزرق ومؤتمر البجة في شرق السودان، وغيرها من الكيانات الاثنية التي ستطفو علي السطح مستقبلا .
3. دور الاستعمار في تعميق هوة بناء الدولة الوطنية. فقد لعب الاستعمار دورا مفصليا في واقع السودان الاثني والقبلي والطائفي.
4. فشل السودان في الاندماج الاجتماعي علي المستوي القومي العربي.

الهوامش:

1. ابرز من يمثل فكرة الغابة والصحراء المدرسة الشعرية التي روج لها صلاح احمد ابراهيم ومحمد المكي ابراهيم ، ومن يمثل التيار العربي الاسلامي عبدالله الطيب وفي ما بعد التسعينات اصبح عرابه عبدالله علي ابراهيم ، اما التنوع الثقافي فيتمثلة محمد عمر بشير ، فيما يمثل تيارات التحول الديمقراطي حيدر ابراهيم وغيره من منقفي مدرسة فرانكفورت، اما فكرة السودان الحديث فهي مدرسة سياسية اكثر منها فكرية ظهرت مع جون قرنق الزعيم التاريخي للحركة الشعبية لتحرير السودان .
2. ظل مفهوم التنوع الثقافي هو المسيطر علي ادبيات الثقافة في السودان وتعمق بصورة أكبر في عهد الرئيس الاسبق جعفر نميري وخاصة بعد اتفاقية اديس اببا التي اوقفت الحرب مابين الحكومة المركزية في الشمال وحركة انانيا 2 التي كانت تقود الحرب المسلحة في جنوب السودان.
3. الكتاب الاسود اصدره مجموعة من الاسلاميين من ابناء دارفور المواليين للترابي بعد المفصلة بين البشير والترابي في العام 1999 ويحوي هذا الكتاب مجموعة من حالات الغبن والظلم الاجتماعي الذي يعيشه ابناء دارفور اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا.

4. المقصود بالاندماج الاجتماعي هنا القدرة في الحفاظ علي التعدد الثقافي في ابعادة الاثنية واللغوية والدينية بالصورة التي تجعل الدولة الوطنية قائمة علي مفهوم المواطنة.
5. حيدر ابراهيم علي ، العولمة وجدل الهوية، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1998، ص63.
6. عبد الله محمد قسم السيد، الوطنية والهوية السودانية، في: صحيفة سودانايل الالكترونية، الخرطوم، 2009/2/3، ص1.
7. ادريس سالم الحسن، رؤي سودانية، مركز الدراسات الاستراتيجية، الخرطوم، 2002، ص.ص 209-220.
8. تيم نبلوك، صراع السلطة والثروة في السودان، ترجمة محمد علي جادين، دار عزة للنشر، الخرطوم، 2007، ص 65.
9. نفس المرجع، ص.ص 71-72.
10. محمود ممداني، دارفور متقنون وناجون :السياسة والحرب علي الارهاب، ترجمة عمر سعيد، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2009، ص111.
11. نفس المرجع، ص190.
12. آدم الزين، رؤي حول النزاعات القبلية في السودان ، معهد الدراسات الافريقية والآسيوية، الخرطوم، 1998، ص139..
13. التقرير الاستراتيجي السنوي، حالة الوطن ، مركز الدراسات السودانية، الخرطوم، 2004، ص12.
14. محمد عمر بشير، الوحدة و التنوع الثقافي في السودان، معهد الدراسات الافريقية والآسيوية ، الخرطوم ، 1989، ص 23.
15. حيدر ابراهيم، السودان الوطن المضيع، مركز الدراسات السودانية ، الخرطوم ، 2012، ص53.
16. فرانسيس دينق، افارقة بين عالمين، ترجمة محمد علي جادين، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ط 3 ، 2001، ص.ص 172-173.
17. نفس المرجع ، ص 178.
18. ميلاد حنا و حيدر ابراهيم علي ، ازمة الاقليات في الوطن العربي ، دار الفكر العربي، دمشق ، 2002، ص 43
19. فرانسيس دينق ، أفارقة بين عالمين، مرجع سابق ، ص.ص 187-188.
20. كمال الجزولي، انتلجنسيا نبات الظل: باب في نقد الذات الجمعي ، دار مدارك للنشر، الخرطوم ، 2008، ص20.
21. فرانسيس دينق ، دينامية الهوية اساس التكامل الوطني في السودان، ترجمة محمد علي جادين ، مركز الدراسات السودانية ، القاهرة، ط2 ، 1999، ص7.
22. عطا البطحاني، جبال النوبة :الاثنية السياسية والحركة الفلاحية 124-1969، ترجمة فريد السراج ، مركز الدراسات السودانية ، الخرطوم ، 2002، ص.ص 251-253.

23. يوشيوكو كوريتا، علي عبد اللطيف وثورة 1924، ترجمة مجدي النعيم ، مركز الدراسات السودانية، القاهرة ، ط 3، 2004، ص102.
24. التقرير الاستراتيجي السنوي، حالة الوطن ، مركز الدراسات السودانية ، الخرطوم ، 2003، ص14.
25. محمود ممداني، مرجع سابق ، ص245.
26. آدم الزين ، مرجع سابق، ص.ص 139-140.
27. الجلاية مصطلح تتم الاشارة اليه في الاثنيات ذات الاصول الافريقية للدلالة علي الثقافة العربية ومفرداتها جلاي وهم طبقة التجار ذات الاصول العربية .
28. محمود ممداني، مرجع سابق، ص277.
29. حيدر ابراهيم ، التعدد الاثني والديمقراطية في السودان، مركز الدراسات السودانية ، القاهرة ، 2002، ص 114.
30. ونستون تشرشل، حرب النهر، ترجمة محمود عز الدين، دار الشروق، القاهرة ، ط2، 2006، ص 107.
31. حيدر ابراهيم علي ، سقوط المشروع الحضاري ، مركز الدراسات السودانية ، الخرطوم ، 2004، ص.ص75-77.
32. الطاهر لبيب (تحرير) ، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1999، ص 378.
33. منصور خالد، قرنق يتحدث ، دار مدارك للنشر ، القاهرة، 2006، ص.ص 65-77.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. الطاهر لبيب (تحرير) ، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1999.
2. ادم الزين، النزاعات القبلية في السودان، معهد الدراسات الافريقية الخرطوم، 1998.
3. تيم نبلوك، صراع السلطة والثروة في السودان، ترجمة محمد علي جادين، دار عزة للنشر، الخرطوم، 2007 ،
4. حيدر ابراهيم علي، سقوط المشروع الحضاري، مركز الدراسات السودانية ، الخرطوم، 2004.
5. حيدر ابراهيم علي، السودان الوطن المضيع، الطبعة الاولى، مركز الدراسات السودانية الخرطوم ، 2011.
6. حيدر ابراهيم علي ، التعدد الاثني والديمقراطية في السودان، مركز الدراسات السودانية ، الخرطوم ، 2002.
7. حيدر ابراهيم علي ، العولمة وجدل الهوية، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1998، ص63.
8. كمال الجزولي، انتلجنسيا نبات الظل: باب في نقد الذات الجمعي، دار مدارك للنشر، الخرطوم، 2008.
9. عطا البطحاني، جبال النوبة الاثنية السياسية والحركة الفلاحية 124-1969، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 2004.

10. محمد عمر بشير، الوحدة و التنوع الثقافي في السودان ، معهد الدراسات الافريقية والاسيوية، الخرطوم ، 1989.
 11. محمود ممداني، دارفور منقذون وناجون الحرب علي الارهاب، ترجمة عمر سعيد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 2010.
 12. حيدر ابراهيم علي وآخرين، ازمة الاقليات في الوطن العربي، دمشق، دار الفكر العربي، 2002.
 13. منصور خالد، قرنق يتحدث، دار مدارك للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 2006.
 14. فرانسيس دينق، دينامية الهوية اساس للتكامل الوطني في السودان، ترجمة محمد علي جادين، الطبعة الثانية مركز الدراسات السودانية، القاهرة ، 1999.
 15. فرانسيس دينق، أفارقة بين عالمين، ترجمة محمد علي جادين ومعتصم صغيرون، ، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2001.
 16. يوشिका كوريتا، علي عبد اللطيف وثورة 1924، ترجمة مجدي النعيم، مركز الدراسات السودانية، القاهرة ، الطبعة الثانية، 2004.
 17. ونستون تشرشل، حرب النهر، ترجمة محمود عز الدين، دار الشروق ، القاهرة، الطبعة الثانية، 2006.
- التقارير**
1. حالة الوطن، التقرير الاستراتيجي السنوي ، مركز الدراسات السودانية، الخرطوم، 2003.
 2. حالة الوطن، التقرير الاستراتيجي السنوي، مركز الدراسات السودانية، الخرطوم، 2004.